الحياة الاجتماعية

الإسلام الحنيف يشمل جميع نواحى الحياة ويتناولها بالبناء والتعمير والإصلاح والتهذيب والتجميل وعلى رأسها الحيـــاة الاجتماعية ، وهو يختص بالجانب الروحى والأدبى ويتولى بناء روح الإنسان وتهذيب نفسه وغسل دماغه كما يحث على العناية بالجسم وتهذيبه وتجميله . أما وسائل تهذيب الجسم ومواد تجميله فيتركها للعلم الذى هو مختص بصنعها وتوفيرها . وهكذا يتعاون الدين والعلم على بناء الإنسان الصالح المثمر وصنع الحياة الإنسانية الكريمة ، فيتولى الدين الجانب الروحى الأدبى ويتولى العلم الجانب المادى الحسى .

ولما كان الإنسان هو الذى يصنع الحياة ويشكلها ويلونها بفكره ونفسه ويده وحجر الزاوية فى بناء الأسرة والمجتمع فقد حرص الدين كل الحرص على موقف الإنسان من نفسه ومن أسرته ومجتمعه وإنسانيته . فإذا كان الإنسان جميلا طيبا جملت وطابت حياة الإنسان نفسه وحياة أسرته ودنيا بيئته . فما فى الحياة الدنيا من خير وجمال من صنع الإنسان الطيب الخير . وما فيها من شر وقبح من صنع الإنسان الشرير السيء .

لذلك ركز الإسلام الحنيف على إيجاد الإنسان الخير الطيب روحاً ونفساً وعقلا وشكلا لإيجاد الأسرة الصالحة المثمرة وبناء المجتمع الصالح الطيب لأن المجتمع يتكون من أفراد وأسر وحجر الزاوية فى بناء المجتمع الصالح بناء الفرد الايجابى النافع ، فكما يكون الفرد يكون المجتمع فهو صورة مصغرة لمجتمعه ونسخة منه ولبنة فى بنائه والفرد يصلح ويطيب ويهتدى بالعلم والإيمان والمنطلق بالفرد إلى الخير والفلاح فى الدنيا والآخرة الايمان بالله لذلك حثه الله تعالى على ورود منهله فقال جل شأنه : « والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنـــوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

والدين يحث على طلب العلم والعلم يهدى إلى الإيمان فلذلك حبب الله تعالى العلم والإيمان إلى الناس ودعاهم إليهما فقال : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال عز وجل : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

وقال تبارك وتعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وطلب العلم النافع بشتى ألوانه وأشكاله فريضة على كل مسلم ومسلمة كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

والمسلم الذى يطلب العلم لينفع به نفسه وأهله وأمته يكافأ على ذلك بدخول الجنة كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقا إلى الجنة » .

والخلق الكريم يكمل العلم فى صنع الإنسان الصالح الفاضل وبناء المجتمع القوى السليم . لذلك بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن رسالة الإسلام الحنيف قوامها وروحها مكارم الأخلاق فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . وخير المسلمين وأكرمهم أحسنهم أخلاقاً وأعلاهم آداباً كما قال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً » .

والله تبارك و ى يقول : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . ولا شك فى أن ا لاق الفاضلة من ثمار الإيمان والتقوى ، وفى رأيي أنه لادين ولا إيمان لمن لا أخلاق له وأن دين الإنسان أخلاقه ، وهنا يحضرنى ما قاله الشيخ محمد عبده رحمه الله عندما زار فرنسا : « وجدت الاسلام ولم أجد المسلمين » . وواضح أن إعجابه بأخلاق الفرنسيين وتعاملهم مع بعضهم هو الذى أوحى إليه بهذا القول .

والاسلام الحنيف يفهم المسلم أنه من مصلحته ومن الخير له أن يعمل صالحاً وأن لا يعمل شراً فقد قال الله تعالى : « من عمل

صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » . وذلك يدفعه إلى فعل الخير ودفع الشر ما استطاع إلى ذلك سبيلا كما أنه لا يتوانى عن اسداء المعروف والمنفعة للغير يحدوه إلى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « خير الناس أنفعهم للناس » . ويزداد اقبالا على التعاون مع اخوانه على البر والتقوى وعلى دفع الشر والأذى كلما طرق سمعه هذا الحديث الشريف : « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

والمسلم الحق يدرك أنه لا يليق به أن يدعو غيره إلى البر والخير وينسى نفسه فالواجب يقتضى أن يسأل نفسه قبل أن يسأل غيره كما قال الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » . فالذى يأمر غيره بالبر وينسى نفسه لا يصدقه أحد ويفقد ثقة الناس به ويعد منافقاً دجالا وبذلك يخسر ولا يفلح عند الله والناس وفى ذلك يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » .

وقال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وهكذا يبنى الإسلام الحنيف الإنسان بالإيمان والعلم ومكارم

الأخلاق ويربيه تربية إسلامية إنسانية فاضلة مثمرة ويعده اعداداً صالحاً لبناء الأسرة السليمة القوية والمجتمع الصالح المتين .

والاسلام الحنيف يفرض على المسلم القادر على الزواج وبناء الأسرة عقلا وخلقاً وصحة ومالا أن يبادر إلى الزواج ليكمل به دينه ويستر نفسه ويحفظ فرجه وينجب بنين صالحين فتبقى شجرة الحياة مورقة مزهرة مثمرة .

والأسرة المسلمة يقود سفينتها ويتولى قيادتها الرجل لأنه أقدر على تحمل أعباء القيادة من المرأة فهو أصلب عوداً وأعمق تفكيراً وأبعد نظراً وأقوى يداً وأطول نفساً من المرأة كما قال الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

وإذا كانت ظروف الأسرة وأحوالها تسمح المرأة بأن تشارك فى العمل خارج البيت فلا مانع من ذلك فالضرورات لها أحكام . وعلى الرجل أن يبذل قصارى جهده فى رعاية أسرته واسعادها وعلى الزوجة أن لا تألو جهدا فى رعاية زوجها حاضراً وغائباً وعليها أن تربى أبناءها تربية صالحة فاضلة فهى وزوجها راعيان لأسرتهما كما قال رسول الله محمد ﷺ : « كلكم راع ومسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل فى أهله راع

وهو مسئول عن رعيته والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته والرجل فى مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته » .

وعلى الزوجة أن تطيع زوجها فى الخير والحق ولا تطيعه فى الشر والباطل . وعلى الابن طاعة والديه والبر بهما قولا وعملا ، قال رسول الله محمد ﷺ : «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» وقال الله تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون».

على أن طاعة الابن لأبويه محدودة بالحق والخير والإيمان ، فمن واجب الابن ألا يطيع والديه إذا أمراه بمعصية الله .

* * *

والزواج لاينمو ولا يثمر ما لم يبن على الحب المتبادل . لذلك لا يسمح الاسلام الحنيف باكراه المرأة على الزواج ممن لا تحب ولا بارغام الرجل أيضا على الاقتران بامرأة لا يرغب فيها . وإذا ما نضب معين الحب أثناء الزواج وتحول الوئام والوفاق إلى تنافر وشقاق وصار الفراق خيراً من الاجتماع وجب الطلاق

فلا اكراه فى دخول الزواج ولا فى الاستمرار فيه ، وينبغى أن يكون التسريح والطلاق بتراضى وإحسان كما جرى الاقتران والإمساك لأن الاسلام يتوخى الحياة الراضية فى كلا الحالين فقد قال الله تعالى : « فإمساك بمعروف أو تسريح باحسان » .

وفى الاسلام الحنيف الضرورات لها أحكام وتبيح المحظورات لذلك أباح الاسلام للمسلم فى ظروف معينة ملحة أن يجمع تحت سقف الحياة الزوجية أكثر من زوجة واحدة فى ظل العدل والمساواة . ومن تلك الضرورات أن تصاب الزوجة بمرض يؤثر على قيامها بواجباتها الزوجية . أو أن تبتلى بالعقم وذلك أفضل من تسريحها واستبدالها بأخرى فترمى برميتين العقم والطلاق . أو عدم قناعة الزوج بامرأة واحدة وذلك أكرم وأشرف من اتخاذ العشيقات والخليلات . أو أن تكون هناك زيادة فى عـــدد الاناث على الذكور فذلك خير من وجود العوانس المعرضات للغواية والوقوع فى حبائل الشيطان .

أما تلك العداوة التقليدية بين الضرائر فمبعثها قلة عقول النساء وأنانيتهن ، فالضرة ليست غولا يأكل ولا بعبعا يخيف بل إنها يمكن أن تكون عونا لشريكتها وضرتها ، ولكن سبحان واهب العقول ومن اين نأتى للمرأة بعقل يدرك ذلك ؟

وتعدد الزوجات يقيده الإسلام الحنيف ومن الفطرة والعقل والمنطق بالحاجة الملحة والضرورة القصوى والعدل والمساواة فاذا لم يكن شيء من ذلك كله فلا زواج إلا بواحدة . فهذه الشروط والقيود تجعل زواج الرجل بأكثر من واحدة شبه محظور كما يقول الله تعالى : ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم» وفى رأيى أن تعدد الزوجات يعد من الحرية الشخصية ويتوقف أولا وأخيراً على ظروف الرجل وأحواله الشخصية ، لذلك ليس من المنطق ولا من العدل اصدار قوانين تمنع الزواج بأكثر من زوجة واحدة .

ويلاحظ أن هذه الظاهرة الاجتماعية غالباً ما توجد فى الأوساط الجاهلة غير المتعلمة وقلما نراها لدى الفئات الواعية المستنيرة ، هذا وليس مما يتمشى مع الفطرة السليمة وواقع الحياة أن يفرض على الرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة أو أن يحرم من حقه الشخصى وحريته الشخصية فى الزواج بامرأة ثانية لسبب ما تحت وطأة ظرف اضطرارى والضرورات لها أحكام واستثناءات .

أما تحديد النسل فالإسلام لا يمنعه إذا كانت المصلحة العامة تتطلب ذلك . ويدل على ذلك أن الأمم التى يشكل الحمل خطراً على

حياتها يحق لها تعاطى وسائل منع الحمل وتحديد النسل . وكيف يكون ذلك حراما وهو عملية وقائية لا تنطوى على اجهاض أو قتل طفل ، فالحرام الاجهاض الذى يتضمن قتل جنين وحرام أيضاً قتل طفل خشية املاق أو غير ذلك .

* * *

ونرى المجتمع الإسلامى فى ظل الإسلام الحنيف كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا كما نرى المسلمين كأجزاء الجهاز الواحد وأعضاء الجسم الواحد فهم إخوة متحابون متراحمون متضامنون كما قال الله تعالى : « إنما المؤمنون اخوة » ، وكما قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . وقال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » .

فالمسلم الصحيح الصادق يتحلى بالتضحية والإيثار ويشعر بحال أخيه المسلم ويحب له ما يحب لنفسه ، ومن لا يكون كذلك لا يعد مسلما مؤمنا كما قال رسول الله محمد ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

والمسلم الحق تراه طيباً سمحاً متسامحاً يقابل الإساءة بالإحسان كما قال الله سبحانه وتعالى : « ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك

وبينه عداوة كأنه ولى حميم » . وقال جل وعلا : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

وهو لا يؤذى الناس بلسانه ولا بيده كما قال رسول الله محمد ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

والمسلم المؤمن يتفاهم مع أخيه المسلم ويسامحه ولا يهجره عملا بقوله ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » .

والمسلم الصادق لا يظلم أخاه المسلم ولا يخذله ولا يتوانى عن مد يد العون له فى العسر والضيق كما قال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره » .

والمسلمون المؤمنون حقاً يتناصحون فيما بينهم ويتواصون بالحق والصبر ولا يتعاملون بالغش والخداع فليس مسلماً حقاً من يغش أخاه المسلم ولا غير المسلم كما قال رسول الله ﷺ : « من غشنا فليس منا » .

وليس مسلماً من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع ، لأن المسلمين متكافلون متضامنون فى جميع الظروف والأحوال .

ومن أجل دفع غائلة الجوع وذل الحاجة والسؤال ومحو

البؤس والشقاء فرض الله تبارك وتعالى الزكاة فهى حق معلوم للمحتاجين العاجزين عن السعى والعمل والذين ليس لهم عوائل يعولونهم ولا دخول تغنيهم عن مد يد الحاجة والسؤال فى أموال الأغنياء الأثرياء كما قال عز وجل : «وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم».

* * *

لا يمكن للمسلمين ولا لغيرهم أن ينطووا على أنفسهم ويعيشوا منعزلين عن غيرهم من الأمم والدول كما يشهد بذلك واقع الحياة ماضياً وحاضراً ومستقبلا ، ومما يحتم عليهم الاتصال بغيرهم هو مسئوليتهم السماوية عن نشر الإسلام فى أرجاء العالم وابلاغه للبشر كافة . ولن يصغى الناس إليهم ولن يتقبلوا دعوتهم ما لم يتبعوا أسلوب الاقناع والحكمة والموعظة الحسنة وما لم يكونوا قدوة حسنة لغيرهم فى العمل بمبادىء الإسلام الصحيح وأخلاقه العظيمة وتطبيقه على أنفسهم قولا وعملا ، ظاهراً وباطناً . لذلك أمر الله تعالى رسوله محمداً والمسلمين أن يدعوا الناس إلى الدخول فى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلتهم بالتى هى أحسن فقال جل وعلا : «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن» وقال عز وجل : « لا إكراه فى الدين

قد تبين الرشد من الغى » . والحكمة فى ذلك أن الأديان والمبادىء والمذاهب لا تدخل قلوب الناس إلا عن طريق العقل والمنطق والاقتناع لذلك أمرهم الله تعالى باتباع طريق العقل والمنطق والبرهان لا طريق القوة والاكراه ، فما يفرض على الناس بالقوة والارغام لا يلبث أن يزول بزوال القوة المادية التى فرض بها ، وما يفرض عليهم بقوة العقل والروح يدخل العقل ويستقر فى القلب وما دخل القلب لا يخرج منه ويخلد فيه .

* * *

والمؤمن القوى الرحيم أقوى نوراً وأكثر إشعاعاً وأعلى صوتاً من المؤمن الضعيف ، لذلك كان أقدر على نشر الإسلام وحمايته من المسلم الضعيف . والناس بطبيعتهم يصغون لمنطق القوى العزيز ويديرون ظهورهم للضعيف المسكين ، لذلك يركز الإسلام الحنيف على إعداد المسلم القوى جسما وعقلا وروحا وعلما وإيماناً وخلقاً لأنه أصل الإسلام فى الازدهار والانتشار . فقد انتشر فى أرجاء العالم فى ظل القوة الرحيمة وعز وساد على أيدى المسلمين الأقوياء الرحماء وانتكس على أيدى المسلمين الضعفاء الأذلاء . وفى ذلك يقول رسول الله محمد ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » . فالمؤمن القوى نور قوى والمؤمن الضعيف نور ضعيف .

والشجاعة قوة والجبن ضعف . ولا بد من الشجاعة لإحقاق الحق وإقامة العدل وهدم قلاع الباطل والظالم ، فالجبن مرتع الظالم والباطل ، لذلك كانت الشجاعة من الإيمان ، والمؤمن حقاً تراه شجاعاً فى القول والعمل .

ولا يكون المسلم قوياً ما لم يستشعر العزة والكرامة والإباء كما قال الله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

والمسلمون المؤمنون حقاً تراهم رحماء بينهم يحب بعضهم بعضاً ويأخذ الواحد منهم بيد أخيه كما تراهم أشداء غلاظاً على الأعداء كما قال الله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

والقوة المادية تكمل القوة الروحية المعنوية واليد تكمل العقل فى إيجاد الأمة القوية التى تنال احترام الصديق والقريب والبعيد وترهب العدو الحاقد وتبعد أطماعه عنها ، لذلك أمر الله تعالى المسلمين أن يعدوا ما يلزم من قوة مادية وروحية لإرهاب العدو ودحره فقال عز وجل : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

والإسلام الحنيف يعتبر البشر جميعاً أخوة فى الأسرة الانسانية الكبرى فقد خلقهم الله تعالى من نفس واحدة ومن

أبوين هما آدم وحواء ، وذلك يدعوهم إلى التعارف والتفاهم والتعايش السلمى وتبادل المصالح والمنافع مع اختلافهم فى ألوانهم وألسنتهم ومذاهبهم وأديانهم فكل إنسان حر فيما يرى ويعتقد فقد قال تعالى : «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» .

وبذلك ينعمون بالأمن والسلام والحياة الآمنة المطمئنة ، وما يحتم عليهم ذلك أنهم لا يجنون من التنافر والتخاصم والاقتتال إلا الخسائر المادية والبشرية والخراب والدمار وافتقاد الأمن والاستقرار . وفى سبيل السلم العالمى والتعايش السلمى نهى الله المسلمين عن البغى والعدوان فقال جل شأنه : «ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» وطلب إليهم رد العدوان فقال : «من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» كما أنه جل شأنه أمرهم إذا كانوا فى حرب مع عدو أن يجنحوا للسلم والصلح إذا رغب عدوهم فى السلم الذى يقوم على الحق والعدل فقال : «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله» . أما الصلح الذى يحل حراما ويحرم حلالا ولا يقوم على احقاق الحق وإقامة العدل فيأباه الإسلام ويرفضه . ولا يحظر الإسلام الحنيف على المسلمين التعامل بالعدل والانصاف والإحسان مع غير المسلمين الذين لا يعادونهم ولم يقاتلوهم فى الدين ويمدون لهم يد الصداقة والتعاون قال الله تعالى : «لا ينهاكم